-12نبيلة وناس

320- تشاركنا يومًا ما قلبًا.. ولما اشتد بنا الجوع.. أكلته!.. أقصد شريكي طبعًا!

¤¤¤

321-ربتت على ظهرها بخفة وهي لا تزال تصدر صوتًا حذرًا، ثم قفزت إلى حضني فجأة تغمض عينيها ببطء، ابتسمت لها برضا؛ وحينها سمعت مواء قطتي أمام باب غرفتي المغلق تريد الدخول، تجمدت من هول الصدمة وأنا أنزل رأسي إلى القطة التي أمسكها بين يدي، فأومأت لي بإشارة من عينيها وابتسمت بمكر، وأظلم المكان بعدها.

¤¤¤

322-كويت قميصه لسابع مرة، لكنني هذه المرة كويته عليه وهو يلبسه، لأتأكد أنه لن يتذمر!

¤¤¤

323-حذرتها من التجوال في حديقتها المسحورة، وتركت لها مفتاح بيتها لتنظيفه، فدفعها الفضول لترى الحديقة قبل عودة صاحبتها، لم تعد تريد أجرتها الآن، فقط أن تختفي الأغصان التي نبتت فوق ظهرها.

¤¤¤

324- المنظر كان صادمًا. لم أكن أتوقع أنه سيحاول إخافتي بتلك الطريقة، المتوحش لم يرحم رقتي وأنوثتي، وأرغمني أن أشاهد أشلاءه المتقطعة، ورأسه المنفجرة. الحقيقة كنت أتوقع منه ردة فعل أحسن، بعدما قمت بدفعه من أعلى الشرفة: أن يهرني بخفة حركته فهو رياضي، لطالما تفاخر أمامي بذلك، وصدعني بحكاياته، فقد كان المرحوم حسب أقواله بطلًا في القفز العالي!

¤¤¤

325-سكين

أنتِ ترين في لمعاني مرآة تعكس جمالك، وأنا أرى في عينيك لمعانًا يعكس شرك. لم أعلم أن جنسك يمتلك قسوة تفوق قسوة معدني، الذي لا يصدأ

إن أكملت زينتك، أرجوك أرجعيني مكان الجرح الذي أسكنتني فيه!

¤¤¤

326-ضيوف

لم أغضب كثيرًا لأنهم لم يلمسوا ما طهوته على الغداء، لم يتذوقوا مرق اللحم بالخضر اللذيذة، ولا حسائي الحار التي كانت رائحته تعبق أجواء البيت، إنهم يجلسون بهدوء حول مائدتي، في الحقيقة لم أستدعهم، فلقد حضروا عندما حان الوقت، وكنت أعرف أنه لم يبقَ في القرية سوانا، وأن ضيوفي جائعون لكنهم ينتظرون موعد العشاء، لذا أنا مضطرة أن أقطع قيلولة زوجي ليذهب معهم الآن، لأني لا أستطيع مرافقتهم فعندي أنفلونزا، وهم يفضلون اللحم الطازج الصحي!

¤¤¤

327-عندما تفتح الباب ولا تجد أحدًا وراءه، أغلقه وارجع، ولا تلتفت أبدًا وراءك، وإن ثقلت خطواتك، وخفت أكتافك، احذر أن تتثاءب، وأغلق فمك جيدًا، ولا تطفئ ضوء الغرفة، وأسرع إلى فراشك، ولا تنسَ أن تنفضه ثلاث مرات، والآن اهدأ ولتتركني أبدأ ما أنهيته مع غيرك، فالرعب أخذ منك قوتك، وأفشل مناعتك، ونسيت ذِكر خالقك، نم يا عزيزي هانت، لحظات وسترى ما يقض أحلامك، ويهز أطرافك، وعندها أسكن نهائيًّا أعماقك.

¤¤¤

328- هفوة

تأكدت من كامل زينتي، وأنا أرتب خصلات شعري برضا، وخرجت بكل ثقة وغرور من البيت، دخلت الحفلة بابتسامة فاتنة رسمتها على شفتي، لكن الجميع تسمروا في أماكنهم فجأة، ثم علا الصراخ، ولاذ الكل بالفرار، فنظرت إلى مرآة اليهو، وعرفت السبب حينها. تبًّا لقد نسيت إرجاع عيوني إلى محجريهما، وتقليم مخالبي!

¤¤¤

329- بعد العودة

تشرق شمس صباح جديد، تبسط أشعتها الدافئة من حولنا، معلنة بداية يوم آخر، وكالعادة تصدح العصافير مغردة لتتفتح الزهور الذابلة، ثم كل العيون النائمة بعدها.

قمة الحياة السعيدة، ينعم بها أهل تلك القرية، لكن هيهات ومن سيهنأ منهم وقطعة من قلبي تحترق، تنشد الانتقام، كيف أهدأ؟ وهم كانوا سببًا في حرماني ابتسامة حياتي، سير الأحداث يمر شريطًا أمام ناظري، حينما هاجمتنا الوحوش أنا وابنتي على حين غرة، كل واحدٍ منهم أوصد بابه عليه، واكتفوا بمشاهدتنا من خلف نوافذهم الآمنة، كيف نصارع الموت نصف أحياء، ذنبنا الوحيد أن كوخنا مهترئ وسهل على الوحوش المفترسة الجائعة الوصول إلينا، لقد قد جسد صغيرتي الغض أولًا، والتف حولها عشرات منهم، يلتهمون ما تبقى منها، بينما كنت أهرب أنا جارة من ورائي دموعَ ودماءَ القهر وألهث متوعدة أهل الهوان بالرجوع من جديد. وها أنا هنا كما وعدت، أتمتع باقتلاع قلوب صغارهم قبل كبارهم، وأجز أعناقهم مستمتعة بمنظر دمائهم الغزيرة فقد اعتادت عيوني اللون القاني، وقبل كل ذبح أغرز خنجري في حلوقهم، حتى لا يصرخون مثل صغيرتي التي لم يكن عندها وقت

حتى لتصرخ، وعيونهم الهلعة تدور في محاجرها؛ رعبًا من وجهي الممزق، وفتحة جرح غائر يكاد قلبي أن يظهر منها للعيان!

¤¤¤

330-كل مرة أخيط فيها جروحي، يتفتق جلدي من ناحية أخرى، جربت كل الوسائل حتى إني قمت بترميمه كصفائح باب مهترئ. متأكدة من جمالي أنا، لكن نظرات من حولي أصبحت لا تروقني، هل لأن روحي غادرتني منذ زمن؟ أم أن شقوق وجهي زاد عمقها؟ لكنهم يتحاشون وجودي بينهم، بالرغم من أن جلودهم ذابت ولم يبقَ منها سوى الجماجم والعظام.

¤¤¤

331-القرين

لم يكن في مزاج يسمح له بالكلام، غادرها إلى غرفته ونام، لم تستطع أن تتحمل تجاهله لها أكثر، وبينما كانت تنتحب في صمتٍ، أحست بكلمات تهمس لها بالاعتذار في أذنها، أغمضت عينيها معترضة وأرادت أن تشعره بغلطاته المتكررة، وضع يده على ذراعها ليجذبها إلى حضنه، استسلمت وهي تحاول كتم ألمها، ودفنت رأسها في كتفه، لكنها لم تسمع أنفاسًا ولا دقات لقلبه، فتحت عينيها بذهول، لتجد خيالًا يشبهه وكائنًا ما يحضنها، صرخت لتوقظ النائم فلم يسمع، فجاوبها هو متمتمًا: إنه غبي جاحد أما أنا فعشقتك بجنون.

¤¤¤

332-القرار

رغم التعب الذي أحسه دائمًا في تلك الأثناء، إلا أن المتعة التي تعتريني وأنا أهشم تلك الرؤوس بطلقات مسدسي الفضي عارمة، أكاد أشتم رائحتهم العفنة وهم يزحفون نحو الجدار الفاصل، بينهم وبين منبع الحياة الوحيد الذي تبقى لنا، منذ انتشار التلوث الغريب، الذي

حصل فجأة إثر انفجار مخبر سري تحت قبو المصنع الضخم في المدينة، وكانت آثاره الكارثية تنعكس على كل كائن حي يصل إليه، ولحُسن الصدف، كنا خارج المدينة أنا وعائلتي، وبما أننا الناجون الوحيدون، سأقضي على كل مسخ يريد الشر بفلذة كبدي وزوجتي الحبيبة، فأنا آخر أمل لهم في بقائهم على قيد الحياة، ولكن المشكل الوحيد الذي يرهقني، أنه تبقى في حوزتي رصاصة واحدة.

¤¤¤

333- اللعبة

قال إنها مجرد لعبة، من أنجح ألعاب الخفة التي يجيدها، لم أصدِّقه في البداية، حتى جربها بنفسه. ملأ الصندوق الزجاجي وهو بداخله، عد لعشرة واختفِ، ليظهر بعدها بجانبي مبتسمًا، صفقت له بحرارة فقبَّل يدي ودعاني للتجربة، ابتسمت لأن قلبي اطمأن له، دخلت بدوري وأحكم هو إغلاق الصندوق عليّ، أومأت له بالموافقة وابتدأ العد التنازلي، شفاهه تحركت وفهمت أنه رقم عشرة، تسعة، ثمانية.. ومع رقم سبعة أحسست بالمياه تغمرني، ستة.. رأيته يبتسم، خمسة، قلبي ينبض بسرعة، أربعة، تنفُّسي يقل، ثلاثة، يجلس على الأرض متفرجًا، اثنان، يحمل هاتفه ويصورني، واحد، صرخة فارغة كتمتها المياه المندفعة لرئتي. نفس الكابوس يتجدد في منامي، هل هي النهاية؟ أو سأفيق بعد حين؟

¤¤¤

334-لا لن أخاف ولن أهرب منك مثلما فعلت أول مرة عندما رأيتك فيها تلوحين لي من فوق، لن أخبر ماما مجددًا، ولن تصرخ في هستيرية، أن رجوع الموتى مستحيل، وأنك فارقتِ الحياة يومها، هيَّا انزلي فأنا أنتظرك لنكمل لعبتنا المفضلة، فأنت تبرعين في فن الاختباء.

¤¤¤

335-أنتبه للظل اللابث من وراء الجدار، في ذلك الشارع الضيق، تعكسه عتمة حالكة إلا من بعض الأضواء تنار وتخفت، لم يرد أن يدع وساوسه تنسج له حكايات وهمية، تجعله يسلك طريقًا مغايرًا، وكل ما كانت الخطوات تقترب كان الخيال يكبر، أحس أن وقت خوفه الغريزي قد حان وأخرج مسدسه المخبأ بجيبه، وما إن وصل زاوية الجدار حتى ضحك وخجل من تصديق أن تلك اليافطة المهشمة والتي تكسوها قطعة قماش ذرتها الرياح تثير الهلع فيه وترجف أطرافه، فأرجع سلاحه والتفت ليجمد بمكانه ويتسمر، ثم يسمع صوت آلة حادة تصنع برقًا وتطيح برأسه، ليقف حاصد الأرواح وهو يتمتم: لقد تركتني أنتظر طويلًا.. أنت شخص لا تحترم المواعيد فعلًا!

¤¤¤

336-قاومت يده التي تحاول كتم صراخي، إنها يدٌ قوية لدرجة أني أحسست أن أسناني ستهوي إلى جوفي، ولمحت اليد الأخرى يلمع بها سِكين، يقربها من عنقي وأنا أخرج عيني بفزع وأحاول النهوض، حتى أقاوم هذا السفاح، الذي قرأت عنه من الجرائد والأخبار، فقد اشتهر بذبحه لضحيته وقطع رأس كل فتاة شعرها أحمر، ووضعه بقرب منضدة السرير، وبما أني صهباء أبًا عن جد، لم أتوقع زيارته لي بتلك السرعة، وحتى إن غيرت لون شعري فنمش وجهي وبياضه سيكشفني، ومرت الدقائق، أخيرًا تنفست ونقمت على تصديقي للحظة حلم في منتصف الليل ونهضت من فراشي وأنا أستجمع قواي وتنفسي، وأدير بنظري من حولي ولا أجد أحدًا بقربي، ونهضت مسرعة إلى زر الضوء لأنير الغرفة وأشرب قطرة ماء تنعشني وتبل ريقي الذي نشفه الكابوس الذي رأيته، ووقفت برهة أستجمع قواي وأشعلت الضوء ومسكت قنينة الماء بيدي لأشرب، واستدرت إلى فراشي فأصدم وأجمد لمنظر رأسي فوق المنضدة، لم أتمالك نفسي وصرخت، في نفس وقت صراخ رأسي المقطوع.

¤¤¤

337- وقفت عاجزة عن الاقتراب أو الرجوع إلى الخلف خطواتي مترددة، إنها هي حبيبتي المفقودة، نفس ملامحي نفس نظراتي، لكنها أكثر قسوة، أكثر صلابة أحسها بجلادة سيدة في الخمسين، كيف غيرتك الغابة يا صغيرتي، ما بداخل هذا الجسد القوي رغم حداثة سنك يا ترى، اعذري فجيعتي في فقدانك وعجزي عن إيجادك في وقتها، فالعاصفة كانت الحسم بيننا، وحكمت بضياعك معها وتوقفي عن الحياة والإدراك حينها، إلى حد نهوضي من جديد، لأنكش الأرض والصخور بحثًا عنك، اقتربي ودعيني أشم رائحتي فيك، لعلك تدركين بغريزة عشيرتك الجديدة ألمي، وعندها يسمح الوحش الذي تربيت عنده بضمك مرة واثنان، فربما تهمس لك أنفاسي قرب أذنيك بكلمة: أمي.

¤¤¤

338-عشق أبدي

يؤسفني أن أخبرك أن الحياة لم تعد كسابق عهدك بها، والأمور تغيرت اليوم إلى الأحسن، وأعلم أن هذا لا يروقك سيدة قلبي، عندما تفهمين بأني لم أعد نفسه الشخص الجبان ولا المتردد، فأنا الآن إنسان يقرر ويتوعد، إن استطعت الرؤية بوضوح بين الأكياس البلاستكية التي لففتك فيها وكتمت أنفاسك الرطبة بها، ستلاحظين حتمًا أن وجهي تغيرت ملامحه من الطيبة إلى القسوة، ومن السكينة إلى التمرد، لقد عملت بنصائحك أخيرًا وها أنا ذا أمامك أرسى على رأي وموقف، والصراحة إن أردت الصدق معك حق، كنت أثير الشفقة فعلًا وأضيع عند أول مواجهة لم ألومك عندما حاولت تركي آخر مرة، ولكنك قلبت كياني وأحرقت أعصابي، وخطر خسارتك يحوم حولي كالنسر الكاسر، آسف حبيبتي لم أجد طرقًا أخرى لأبقيك بقربي إلا أقذرها وأقساها، لا تخافي سأترك لك اختيار حالة مكوثك معي، رغم أني أحبِّذ فكرة تحنيطك وترسيخ جمالك إلى الأبد.

¤¤¤

339- التباس

بينما كان يضعها في آلة الفرم، للتخلص منها، سمعها تتمتم بكلمات مبهمة، من تحت الكمامة التي سد بها فمها، وواصل تثبيتها جيدًا وهو يقول: "آسف لقد اختطفتك بالخطأ وظننتك فتاة سمراء حتى أحوّلك لمسخ مثلي مستحيل بعد أن اكتشفت أنك شقراء.. فنحن لا نتوافق جينيًا. وشغل الآلة لكن الوقت قد فات وكلماتها الأخيرة تصل إلى أسماعه متقطعة ليفهم بعدها، إنها تحاول ان تقول: "إن شعري مصبوغ بالأشقر فقط يا معتوه!"

¤¤¤

340-بطعم القهوة

يعجبني وهو يدعي الذكاء وسرعة البديهة يوميًا، ويتسلح بالحذر والتوجس قبل كل خطوة في حياتنا البائسة.

أردت أن أثبت له غباءه، قرر فجأة أن يبدل فنجان قهوته بفنجاني ولأني أعرفه جيدًا تركته يأخذه، ويرضي غروره وأنا أبتسم بهدوء، وشربت من فنجانه، وعيناي لا تبارحان عينيه، متمنية له حظًا سعيدًا في الحياة البرزخية، لعله يرتاح من ضخ مخه قليلًا ويهدأ.. حسن.. لست متأكدة في أي فنجانٍ وضعت السم بالضبط!

¤¤¤

341-لم يتبقِ لي الآن سوى الرجوع لأصلي وأحاول أن أتخلص من الجسد الحي الذي استعرته في جولتي القصيرة، أخيرًا سأضع حدًا لأمنيتي الحمقاء في أن أتنفس وأضحك وأحب، لأن التجربة كانت مريرة وقاسية، وتقمص دور بشرية يلزمه صبرًا وقوة احتمال، والأهون عندي أن أستلقي مع بقية الجثث المتحللة على أن أتظاهر بالسعادة رغمًا عني، كم هي بائسة حياتكم يا من فوق الأرض!

¤¤¤

342-خاتم خطوبة

في آخر قضمة تبقت لي منها، تذكرت فجأة بحسرة أني لم أقم باسترجاع خاتم الماس العالق بإصبعها و الذي كان سببًا لمجيئها دون تردد، عليّ الانتظار الآن نصف ساعة، فيمكن لجسدها الطري أن يُهضم بسهولة، عندها سيكون الخاتم في أصبع خطيبة أخرى ألذ طعمًا تعشق الحجر البراق.

¤¤¤

343-تعبير خاطئ

عندما قال لي: ساعديني لأخرج لك ما في صدري.

لم أجد عندما فعلت، سوى قلب وأوردة، ورئة أهلكها التبغ والنيكوتين، وبعض الدماء والعروق، عادي، لا شيء مما كنت أنتظره!

¤¤¤

344- سعة خيال

صوت ارتطام جمجمتي وتصدعها، وتفتت ضلوعي، وتناثر أشلائي بين ثنايا الممرات، لم يهمني كثيرًا، لكنني دهشت حقًّا عندما عرفت أن كل تلك السرعة الفائقة والقوة المذهلة في زوالي، كانت نتيجة لإطلاق سراح خيالي الجامح، وفشلي في كبح لجامه.

¤¤¤

345-يتبعني بصمتٍ فظننته ظلي!

وقفت لأتأكد منه ثم ابتسمت، دائمًا ما يربكني وقت الغروب عندما تتوارى شمسه ببطء، تنذرني حواسي حينها بخطرٍ قريب!

واصلت حث خطواتي لأصل قبل حلول الظلام، لن أتخيل أحداثًا أخرى، لن يمكن أن تحدث إلا في مخيلتي المهووسة.

فجأة، ظهر من العدم أمامي واقفًا بهدوء، إنه يقترب الآن بخطوات متمهلة، لم يكن بالفعل إلا ظلي، يبدو أنه سبقني إلى باب البيت،

كتمت صرخة كادت تنفلت مني، التف من حولي يتلبسني فشعرت بعدها بالضيق ثم بالراحة، فتحت باب البيت من جديد لأكمل ليلة أخرى من تعذيب عائلة زوجي و.. وصغاري.

¤¤¤

346- نهض من فراشه يمسح العرق المتدفق من جبينه، وكأنه يشكو من الحمى، ضلوعه توجعه وكأنه سقط من الأعلى محطمًا كل جزء في جسده، ريقه ناشف، يكاد يلتصق حلقه، معلنًا نوبة عطش جارفة، نزل من سريره، ليقصد قنينة الماء، لكنه لم يكد يلمس الأرضية برجليه حتى صرخ مرعوبًا وهو يسقط من جديد إلى الهاوية، وكأنه يواصل حلمه الذي استيقظ منه منذ قليل، وصرخ بلا صوت، وأفاق مرة أخرى بصعوبة من كابوسه المتواصل، هذه المرة جسمه مخدر لا يستطيع القيام بأدنى جهد، وإحساسه بالعطش يزداد حدة، وحاول مدّ يده لزوجته النائمة بجانبه، وفشل في محاولته، لكنها انتبهت أخيرًا والتفتت إليه ببطء، صدم عندها وفتح فاه من شدة الرعب، فقد كان وجهها جمجمة ويداها قطع من الهيكل العظمي.

¤¤¤

347-لم يعد يستطيع تحريك أي جزءٍ من جسده المسجى على فراشه، وبوهنٍ فتح عينيه يتأمل وجوه عائلته المعفرة بدموع ترقب فراقه، يتوسطهم، لا يعرف ما الخطوة القادمة، بعدما توقفت أطرافه كليا عن الحركة، ولكنه فهم أن الشخص الذي ربما يكون ولده الأكبر يشير له أن يرفع أصبعه، لم يفهم كلامه جيدًا فسمعه ثقل عليه، ودقق في شفاه محدثه، فتبين أنه يتمتم بكلمات، ويريه حركة بالسبابة، واتضحت في عقله الأمور فجأة، فاستجمع كل جهده، ورفع يده، وتمتم قائلًا: نعم أرجوك. فردَّ ابنه بلهفة: نعم، أذكر الشهادة يا حاج..

لم يجب والده ولكنه وضع أصبعين باتجاههم بحركته المعهودة عندما يريد طلب سيجارة من أحدهم، وأسلم الروح!

¤¤¤